بهديه ، متأثرين بكثير من جوانب الحياة الغربية .. وكانت لغتنا يوم اتصل الشرق العربي بالغرب ، عاجزةً عن القيام بنفسها ، بله استيعاب ما جاءنا عنه ، ولم يكن بدّ من تطوير اللغة، وبدأ هذا التطوير فعلاً، ولكن من ينتظر؟ لقد عدا الشرق لاهثاً وراء حضارة الغرب ووراء أدب الغرب ونقد الغرب، فأخذنا من فنونه الأدبية الشيء الكثير ؛ إننا حاولنا أن نطوّر ماورثناه من قديمنا في ضوء ما رأيناه حديثاً عنده، وقلّدناه فيما لم نجد عندنا نظيراً له .

وكانت للغربيين نظرات في الأدب وفنونه، وفي النقد ومذاهبه، وفي البلاغة وحقيقتها، وكان لابدّ أن يتسرّب شيء من كل ذلك إلينا .

ولعلّنا لا نجانب الصواب إذا بادرنا منذ الآن إلى القول إن البلاغة إذا كانت منبعثة عن الذوق أو متأثرة به ، فإن لكل أمة ذوقها المتصل بطبيعتها. وإذا كانت البلاغة من المقاييس النقدية، فإن لكل فن مقياساً من طبيعته، وليس صحيحاً في نظرنا، ولا معقولاً، أن ننقد شعر زهير أو شعر المتنبي بمقاييس وضعت لنقد أدبٍ غير الأدب العربي ، بل هو أدب مباين له طبيعة وزماناً وبيئة ومكاناً .

إن الذين عقدوا الموازنات بين بعض الشعراء العرب ، كعمر بن